﴿سورة القارعة﴾

وفيها خمس مسائل :

المسألة الأولى: لم سمي يوم القيامة بالقارعة ؟

والجواب: القارعة اسم من أسماء يوم القيامة المتعددة، وهى من القرع أى الضرب بالعصا، وكذا من المصيبة العظيمة التى تقرع آذان الناس وتأخذ بعقولهم وتخطف قلوبهم، قال ابن عباد: (والقَارِعَةُ: الشديدةُ من قَوارع الدهر وهى اسمُ القيامة) [1]، وقد سُميت بهذا الاسم بياناً لأهوالها التى تقرع قلوب الناس.

ثم تكرر ذكر اسمها فى قوله ﷻ: ﴿**مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣)**﴾ لتهويل أمرها وتعظيم شأنها، قال العلامة السعدى- رحمه الله-: (﴿**الْقَارِعَةُ**﴾ من أسماء يوم القيامة، سميت بذلك، لأنها تقرع الناس وتزعجهم بأهوالها، ولهذا عظم أمرها وفخمه بقوله: ﴿**الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣)**﴾) [2] كأن العلم بها وتصور ما فيها من أهوال قد تجاوز حدود فهم البشر وتخيل عقولهم، فاحتاجوا إلى شرح وإيضاح فجاءت الآيات بعد ذلك تبين شيئاً من أهوالها .

المسألة الثانية: هل هناك تعارض بين وصف الله تعالى للناس يوم القيامة بالفراش المبثوث فى هذه السورة، ووصفهم بالجراد المنتشر ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ (٧)﴾ [3] فى سورة القمر ؟

والجواب: إن الوصفين مكملان لبعضهما ولا تعارض بينهما على الرغم من اختلاف طبيعة الجراد المنتشر عن الفراش المبثوث، هذا إذا سلمنا أن الجراد غير الفراش، إذ إن بعض المفسرين يرون أن الفراش هو صغار الجراد وبالتالى تصير دلالتهما واحدة لأن النوع واحد، قال ابن

---

(١) المحيط فى اللغة، إسماعيل بن عباد ١٦٩/١، عالم الكتاب، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٤هـ.
(٢) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدى، ص٩٣٣، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م .
(٣) سورة القمر / من الآية ٧ .

عجيبة: (والفراش: صِغار الجراد، ويسمى : غوغاء الجراد، وبهذا يوافق قوله تعالى: ﴿**كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ (٧)**﴾ [١].

أما إذا قلنا إن الجراد غير الفراش فيكون الوصفانمعبرينعن حالتين مختلفتين للناس بعد البعث والانطلاق من القبور إلى الحساب: فالوصف الأول لهم لحظة خروجهم من قبورهم حيث يتفرقون من الهول والفزع فى كل اتجاه كحال الفراش المبثوث أى المفرق يقال بثه إذا فرقه، وأما وجه التشبيه بالجراد فهو في الكثرة ويؤكد ما ذكرناه قوله ﷻ: ﴿**فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً(١٨)**﴾[٢]، فالناس أول ما يُبعثون يتهارجون ويختلطون ويموجون وينتشرون على غير هدى فهذا هو حال الفراش المفرق المبثوث، وعند البعث يقومون جميعاً لا يتخلف منهم أحد – منذ أن خلق الله آدم وبنيه إلى قيام الساعة – فينطلقون فى أعداد لا تُعد ولا تُحد، فهذا وصفهم بالجراد لما ينتشر فى أعداد هائلة تفوق القدرة على الحصر ... والله أعلى وأعلم .

كما أن هناك ملمحاً آخر فى وصف الناس يوم القيامة بالفراش المبثوث وهو أن من عادة الفراش فى الدنيا التكالب على ضوء النار حتى يُسقط بعضها بعضاً فيها ويحترق بلهيبها ، فلعل وصف الناس يوم القيامة بالفراش المبثوث هو وصف خاص بالكافرين الذين يسقطون فى نار جهنم بسوء أفعالهم التى أقدموا عليها فى الدنيا وحث بعضهم بعضاً على الكفر وتكذيب الرسل فكأن بعضهم يدفع بعضاً بسوء الصحبة وفساد العشرة إلى نار جهنم ...والله أعلى وأعلم .

المسألة الثالثة: لم وصف الله تعالى الجبال فى هذه السورة بالعهن المنفوش، بينما اكتفى بوصف الجبال بالعهن فقط دون وصفها بالمنفوش فى سورة المعارج فقال: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (٩)﴾[٣]؟

---

(١) البحر المديد ٨/ ٥٢٠ .
(٢) سورة النبأ / من الآية ١٨ .
(٣) سورة المعارج / الآية ٩ .

والجواب: لابد من التأمل فى السورتين لمعرفة السر فى ذلك وهو ما يؤكد أهمية التدبر والتأمل فى القرآن الكريم وقد ذكر الدكتور فاضل السمرائى – حفظه الله – فى علة ذلك وجوهاً، منها :

- (إن الله تعالى لما ذكر القارعة في أول السورة، والقارعة من "القَرْعِ"، وهو الضرب بالعصا ناسب ذلك ذكر النفش، لأن من طرائق نفش الصوف أن يُقرعَ بالمقرعة ، كما ناسب ذلك من ناحية أخرى وهي أن الجبال تهشم بالمقراع (وهو من القَرْع) وهو فأس عظيم تُحَطَّم به الحجارة، فناسب ذلك ذكر النفش أيضاًفلفظ القارعة أنسب شيء لهذا التعبير.

- إن ذكر اليوم الآخر في سورة القارعة، أهول وأشد مما ذكر في سورة المعارج، فإنه لم يذكر فى سورة المعارج إلا طول ذلك اليوم، وأنه تعرج الملائكة والروح فيه، في حين قال في سورة القارعة: ﴿**الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣)**﴾ فكرر ذكرها وعَظَّمها وهوَّلها، فناسب هذا التعظيم والتهويل أن يذكر أن الجبال تكون فيه كالعهن المنفوش، وكونها كالعهن المنفوش أعظم وأهول من أن تكون كالعهن من غير نفش كما هو ظاهر.

- ذكر في سورة المعارج أن العذاب ﴿**وَاقِعٍ (١)**﴾ وأنه ليس له دافع ﴿**سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢)**﴾، ووقوع الثقل على الصوفمن غير دفع له لا ينفشه، بخلاف ما في القارعة فإنه ذكر القرع وكرره، والقرع ينفشه وخاصة إذا تكرر، فناسب ذلك ذكر النفش فيها أيضاً.

- إن الفواصل في السورتين تقتضي أن يكون كل تعبير في مكانه ، ففي سورة القارعة قال ﷻ: ﴿**يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ (٥)**﴾، فناسبت كلمة (المنفوش) كلمة (المبثوث)، أما في سورة المعارج فقال: ﴿**سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١)**

لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢)﴾ فناسب (العهن) (المهل).

- ناسب ذكر العهن المنفوش أيضاً قوله في آخر السورة: **﴿نَارٌ حَامِيَةٌ(١١)﴾** لأن النار الحامية هي التي تُذيبُ الجبالَ، وتجعلها كالعهن المنفوش، وذلك من شدة الحرارة، في حين ذكر صفة النار في المعارج بقوله: **﴿كَلاَّ إِنَّهَا لَظَى (١٥) نَزَّاعَةً لِلشَّوَى (١٦)﴾**، والشوى هو جلد الإنسان، والحرارة التي تستدعي نزع جلد الإنسان أقل من التي تذيب الجبال، وتجعلها كالعهن المنفوش، فناسب زيادة (المنفوش) في القارعة من كل ناحية. والله أعلم) [١].

المسألة الرابعة: فى قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ٦﴾، وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ٨﴾ هل توزن الأعمال على وجه الحقيقة ؟

والجواب: أنكر بعض الناس وزن الأعمال على وجه الحقيقة، وقالوا إن الوزن المذكور هو مجاز عن الحساب ولم يقتنعوا بكيفية وزن الأعمال والحسنات والسيئات وكلها أمور معنوية غير محسوسة ولا مادية، وهذا جهل منهم بآى القرآن وصحيح السنة وإعمال لعقولهم مع النصوص الثابتة، حيث ثبت فى السنة أن الأعمال توزن فى الميزان، وقد ورد لفظ الوزن والميزان فى القرآن الكريم والسنة المطهرة فى أكثر من موضع، ومنه قوله ﷻ: **﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً﴾**[٢] وقد دلت السنة على أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان فقد روى الإمام أحمد من حديث أبي عبد الرحمن الحبلي قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول: قال رسول الله ﷺ: "إن الله سيختص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مد البصر ثم يقول له: أتنكر من هذا شيئا أظلمتك كتبتي الحافظون؟ قال: لا يا رب فيقول: ألك عذر أوحسنة؟ فيبهت الرجل فيقول:

---

(١) لمسات بيانية ص ١٢٤ .

(٢) سورة الأنبياء / من الآية ٤٧ .

لا يا رب فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم اليوم عليك، فتخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، فيقول: أحضروه، فيقول: يا رب، وما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تُظلم، قال: "فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، قال: "فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم")[1] وانظر وتأمل لفظ الحديث: (فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة) فدّل هذا على الوزن بميزان حقيقى له كفتان. وثمة أمر آخر قاله العلماء فى قضية الوزن، حيث قالوا: إن صاحب العمل يوزن مع عمله فى الميزان واستدلوا على ذلك بما ورد فى الحديث (توضع الموازين يوم القيامة فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة)[2]، وفي هذا السياق فائدة جليلة وهي أن العامل يوزن مع عمله، ويشهد له ما رواه البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : (إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: "اقرؤوا إن شئتم: ﴿**فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً (١٠٥)**﴾[3])[4].

كما وردت الأحاديث أيضاً بوزن الأعمال نفسها، كما في صحيح مسلم عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: "الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان" [5]، قال ابن أبى العز الحنفى: (فلا يلتفت إلى ملحد معاند يقول: "الأعمال أعراض لا تقبل الوزن وإنما يقبل الوزن الأجسام!"، فإن الله يقلب الأعراض أجساماً، فثبت وزن الأعمال والعامل وصحائف الأعمال وثبت أن الميزان له كفتان، والله ﷻأعلم بما وراء ذلك من الكيفيات) [6] .

---

(١) الحديث فى مسند الإمام أحمد، ١١ / ٥٧٠ ، ورقمه ٦٩٩٤ .
(٢) الحديث فى مسند الإمام أحمد، ١١ / ٦٣٧ ، ورقمه ٧٠٦٦ .
(٣) سورة الكهف / من الآية ١٠٥
(٤) الجامع الصحيح، ١١/ ٤٦٦ ، ورقمه ٤٧٢٩ .
(٥) صحيح مسلم، ١ / ١٤٠ ، ورقمه ٥٥٦ .
(٦) شرح العقيدة الطحاوية ،لابن أبى العز الحنفى ، ص ٤٠٤ ، المكتب الإسلامي ،بيروت ، الطبعة الرابعة سنة ١٣٩١ه

المسألة الخامسة: ما معنى قوله تعالى: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَة (٩)﴾ ؟

والجواب: إن من خفت موازين حسناته، وثقلت موازين سيئاته فمصيره النار، وفي ﴿**فَأُمُّهُ هَاوِيَة(٩)**﴾ قولان:

الأول: أمه أى: مصيره ومأواه الذى يأوى إليه ويستقر فيه هو النار، فمن أسماء النار الهاوية أى التى يهوى فيها الكفار، ولذا فسرها ربنا بقوله: ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ (١١)**﴾.

الثانى: ﴿**فَأُمُّهُ هَاوِيَة(٩)**﴾ أمه أى رأسه ودماغه، هاوية أى ساقطة من أعلى، والمعنى: أن الكفار يلقون فى النار من مكان عال فيسقطون على أدمغتهم وأم رؤوسهم، قال ابن كثير: (معناه: فهو ساقط هاو بأم رأسه في نار جهنم، وعَبَّر عنه بأمه-يعني دماغه- وروي نحو هذا عن ابن عباس، وعكرمة، وأبي صالح، قال قتادة: "يهوي في النار على رأسه"، كذا قال أبو صالح: "يهوون في النار على رءوسهم") [١].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤٦٨/٨